نظرية النظم الجرجانية في ميزان النقد العلمي

The theory of synthesis in the balance of scientific criticism

بودانة طه الأمين
كلية الآداب واللغات، مخبر: اللغة العربية وآدابها
جامعة الأغواط- الجزائر
amineboudana1988@gmail.com
إشراف: أ.د بن علي سليمان
جامعة الأغواط- الجزائر

تاريخ الإرسال:2018/02/24 تاريخ القبول:2019/08/27

ملخص:

نسعى من خلال هذا البحث إلى تقييم إحدى أهم النظريات التي درست التركيب اللغوي العربي في التراث، وهي: نظرية النظم الجرجانية، وقد شكلت نظرية النظم الجرجانية قفزة نوعية في الدرس اللغوي العربي؛ إذ نقلته من ميدان التحليل إلى ميدان التركيب؛ فكانت أولى النظريات التي أشارت إلى مفهوم "نحو النص"، من خلال ما طرحته من مفاهيم ترتبط أساسا بالنص كوحدة لغوية متكاملة بديلا عن الجملة، ورغم هذا كله فقد كان لهذه النظرية بعض العيوب التي لاحظها الباحثون المعاصرون، وسنحاول من خلال هذا البحث اكتشاف المستوى العلمي الراقي الذي وصلت إليه هذه النظرية، وفي الوقت ذاته نستفيد من بعض الأخطاء التي تخللتها من خلال استعراض أهم الانتقادات التي وُجهت لها.

الكلمات المفتاحية: نظرية؛ النظم؛ الجرجانية؛ ميزان؛ النقد؛ العلمي

Summary :

We seek through this research to evaluate one of the most important theories that studied the arabic linguistic structure in the heritage, namely: the theory of synthesis. This theory was a quantum

leap in the arabic language lesson, moving it from the field of analysis to the field of composition, and it was the first theory that referred to the concept of "the grammar of the text ", through the concepts that are related mainly to the text as an integral linguistic unit instead of the sentence, and despite all this has been some of the disadvantages of this theory noted by contemporary researchers, and we will try through this research to discover the high scientific level reached by this theory, at the same time, we take advantage of some of the mistakes that have been made by reviewing the most important criticisms against them.

Key words: Theory ; synthesis ; the balance ; scientific ; criticism.

المؤلف المرسل: بودانة طه الأمين aminebOudana1988@gmail.com

مقدمة:

يؤكد عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في نظرية النظم على أن المتكلم يتوخى في نظمه للكلام معاني النحو؛ أي أنه ينظم كلامه على أساس قواعد النحو وقوانينه، فيتوخى ما يكون مبتدأ، أو خبرا، أو فاعلا، أو مفعولا...،[1] وقد بين أن هناك مستويين من المعنى متغايرين متباينين؛ أحدهما يتعلق بمعاني الألفاظ ودلالات التركيب، والآخر يتعلق بالمعاني النحوية، والذي يراعيه المتكلم في نظم كلامه هو المستوى الأول، أما المستوى الثاني فإنما يأتي تبعا له. فالجرجاني إذن لا يقصد بتوخي معاني النحو أن العرب كانوا يتوخون القواعد النحوية المعروفة لدينا اليوم؛ فالعرب كانت تحكمهم سليقتهم اللغوية، فينطقون لغة سليمة جارية على القواعد الراسخة في اللاوعي الجمعي لهم، وحالهم مع معاني النحو كحال شعرائهم مع بحور الشعر وتفعيلاته؛ فهم يُجرون شعرهم مع أمواجها من غير أن يدركوا هذه البحور وتفعيلاتها بالتفصيل الذي نعرفه نحن اليوم.

1- مفهوم النظم لغة واصطلاحا:

أ- النظم لغة هو: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر؛[2] يقال: "نظمت اللؤلؤ"؛ أي: "جمعته في السلك"، والتنظيم مثله. ومنه: "نظمت الشعر"، والنظام: الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ، وكل شيء قرنته بآخر وضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته.

ب- اصطلاحا هو: تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض؛ فالنظم في الكلام هو تأليف الكلمات في جمل وتراكيب على أساس المعاني الوظيفية التي يؤديها في التركيب، أو ما يُعرف ب"معاني النحو". يقول عبد القاهر الجرجاني:« اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي

يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك؛ فلا تخل بشيء منها».[3]

2- النظم وقضية الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ):

لقد تبلورت نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني لمّا تعرّض لقضية الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم؛ حيث يرى أن سر الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في تركيبه البديع، وهو ما يسميه "النظم"؛ أي: توخي معاني النحو وأحكامه، يقول في كتابه "دلائل الإعجاز" مبيّنا مزايا الإعجاز القرآني: «أعجزتهم مزايا ظهرتْ لهم في نظمهِ، وخصائصُ صادفوها في سِياق لفظه... فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبو[4] بها مكانُها، ولفظةً يُنكرُ شانُها، أو يُرى أنَّ غيَرها أصلحُ هناك أو أشْبَه، أو أحرى وأخْلَق، بل وجدُوا اتِّساقاً بَهرَ العُقولَ، وأعجزَ الجمهورَ، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يَدعْ في نفسِ بليغٍ منهم- ولو حكَّ بيافوخِه[5] السَّماء- موضعَ طمعٍ، حتى خرسَتِ الألسنُ عن أن تدعي وتقول، وخذيت القُروم[6] فلم تملك أن تصول».[7]

ثم يبدأ بعرضٍ تفصيليٍّ لنظريته التي يسعى من خلالها إلى الوصول إلى حقيقة الإعجاز القرآني؛ ليتوصل إلى قضية مفصلية هي جوهر نظرية النظم مفادها: أنْ ليس النظمُ إلاَّ توخِّي معاني النحو وأحكامِه، ووجوهِه وفروقه فيما بَيْنَ معاني الكلم، فعلى هذا يرى الجرجاني أن القرآن الكريم ليس معجزا في ألفاظه بذاتها، فألفاظه مألوفة معروفة، ولا بتلك التراكيب اللغوية التي يستطيع البشر النسج على منوالها، إنما إعجازه يكمن في معاني النحو وأحكامه، ووجوه وفروقِه.

فلو أُزيلت معاني النَّحو وأحكامه مما بينَ الكَلم حتى لا يكون للكلمات في مواضِعِها التي وُضِعَتْ فيها مُوجبٌ ومُقتضٍ، ولم يكن بعضها كائن بسبب من بعض عدمنا تلك المزية التي ألفناها في النظم القرآني المعجز.

3- نقد بعض المعاصرين لنظرية النظم:

لم تسلم نظرية النظم كغيرها من النظريات العلمية من سهام النقد، وذلك أمر طبيعي؛ فكل عمل بشري يعتريه - ولا بد - النقص والعيب. فمما لاحظه بعض الباحثين على هذه النظرية تأكيد الجرجاني على أن المتكلم يتوخى في نظمه للكلام معاني النحو؛ ويقصد الجرجاني بمصطلح التوخي هنا أن المتكلم يراعي في نظمه للكلام معاني النحو وأحكامه؛ أي أنه ينظم كلامه حسب قوانين النحو وأصوله، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن امرأ القيس في قوله:

* قفا نبك مِن ذكرى حبيب ومنزلِ*[8]

توخى كون "نبك" جوابا للأمر، وكون "مِن" معدِّية له إلى " ذكرى"، وكون "ذكرى" مضافة إلى "حبيب"، وكون "منزل" معطوفا على "حبيب"، وهكذا؛ فرأوا أن الكلام ملكة عند المتكلم؛ فهو لا يتوخى فيها قواعد اللغة وقوانينها، بل اللغة نفسها هي التي تتوخى هذه القوانين وتنتظم على أساسها؛ فالكلام البليغ أسبق في الوجود من علم النحو وأصوله ورسومه؛[9] ومما يؤيد رأيَهم هذا ما رواه "غيلان بن الحكم" عن أبيه في تخطئته ابن شبرمة لمّا أنكر على ذي الرمة قولَه:

إذا غيَّرَ النّأيُ المحبّينَ لمْ يَكَدْ ** رسَيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبْرَحُ[10]

وكذا تخطئته لذي الرمة حين قال مستجيبا لابن شبرمة:

إذا غيَّر النأيُ المحبينَ لم أَجِدْ ** رسَيسَ الهوى مِن حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فيرى هؤلاء النقاد أن الشاعر قد أصاب لما جرى مع ملكته اللغوية من غير توخٍ لمعاني النحو، وأخطأ حين توخى هذه المعاني، وإنما يتوخى معاني النحو أهلُ الصناعة النحوية لأغراض تعليمية في الغالب.[11]

ويقف هؤلاء النقاد مليا عند تفسير الجرجاني لبيت بشار بن برد:

كأن مُثار النقع فوق رؤوسنا ** وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

حيث يرى الجرجاني أنه لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ بشَّار قد أخْطَرَ معاني هذهِ الكَلمِ ببالِه مجردة من معاني النحوِ التي نراها فيه، فكل لفظة من هذه الألفاظ المكونة لهذا البيت هي في نظره بمثابة تلك القطع الصغيرة المشكلة لصورة متكاملة الأجزاء، فلو أزلنا قطعة منها أو غيرناها من مكانها لاختلت الصورة برمتها.

فيرون أن هذه الصورة التي فسّر الجرجاني على ضوئها بيت بشار كان من الممكن أن تُسلَّم له لو كانت مادتها الخشب، أو الورق، أو الأصباغ، أما أن تكون من فكر وخيال وعاطفة فلا. وهنا يلمس القارئ في كلام الجرجاني – حسب رأيهم – الجدلَ الكلامي، والبراعة الفذة في عرض الحجة وإثبات مذهبه الكلامي حتى يُذهِل القارئ عن الحقيقة، وهذا يذكرنا بما رُوي عن الإمام مالك (ت179ه) في قوله عن أبي حنيفة (ت 150ه): « لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته»، ولكنّ هذه البراعة التي أُوتيها الجرجاني في عرض الحجة، وإقناع القارئ لا تغير من حقيقة الأشياء، ولا تحول السارية إلى ذهب، وهكذا؛ فالحقيقة أن الجرجاني - حسب رأيهم- لم يستطع أن يقنع أهل زمانه، ولا القرون البعيدة التي جاءت بعده بفكرته هذه إلا من اغتر بكلامه، وأخذ بِلبُّه سحرُ بيانه.[12]

4- تعقيب على هذا النقد:

نحن وإن وافقنا هؤلاء النقاد على أن الجرجاني قد بالغ في إثبات نظريته وأجلب عليها بخيله ورَجِله، وأُوتي ملكة متميّزة في عرض الحجة وإقناع الخصم، وهو يرمي من وراء كل ذلك إلى تقرير مذهبه الكلامي؛ نلمس ذلك خصوصا في كلامه على قضية اللفظ والمعنى التي أطال النفس فيها، إلا أننا لا نوافقهم على أن المتكلم العربي لا يتوخى في كلامه معاني النحو وأحكامه. والذي دفع هؤلاء النقاد إلى تبني هذا القول - في رأينا- عاملان رئيسيان: الأول منهما: أنهم لم يفهموا المدلول الحقيقي الذي أراده الجرجاني من لفظة

"التوخي"، والثاني أنهم ظنوا أن الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" لم يزل متأثرا بالصناعة النحوية، فلم يخرج عن أصول النحاة قبله، فانعكست تلك النزعة النحوية الصناعية في تقرير نظريته.

والجواب عن هذا أن الجرجاني لم يقصد ب"توخي معاني النحو" أن العرب الأوائل كانوا ينظمون كلامهم مُلتزمين أصول علم النحو التزام الأجنبي عنها المتعلِّم لها، فهذا الأخير يتعلم - ولا بد - قواعد النحو وقوانينه، ويحفظ المصطلحات التي وضعها النحاة للتمييز بين الوظائف النحوية المختلفة؛ كي ينظم كلامه نظما سليما يتوافق وقواعد اللغة العربية، بخلاف العربي السليقي الذي يتوخى في نظم كلامه معاني النحو وأحكامه توخيا لا شعوريا، جاريا في ذلك على القواعد الراسخة في اللاوعي الجمعي لهم، فلا شك أن العربي السليقي في نظمه للكلام يتوخى الوظائف النحوية المختلفة من فاعل، ومفعول، ومبتدأ، وخبر، وغيرها، ومواقعَها في الكلام وعلاماتِها الخاصة بها، مراعيا في ذلك مقام الكلام دون أن يعرفها بمصطلحاتها التي تواضع عليها النحاة؛ فكلام الجرجاني إذن ينطبق على الطائفتين: طائفة أصحاب السليقة؛ فهم يتوخون معاني النحو وأحكامه لاشعوريا، وطائفة المولَّدين والذين عاشوا بعد عصر الفصاحة؛ فهم في نظم الكلام يتوخون معاني النحو وأحكامَه مُلتزمين أصول علم النحو ورسومه التي رسمها النحاة فلا يحيدون عنها.

أما بخصوص أن الجرجاني لم يزل في "دلائل الإعجاز" متأثرا بالصناعة النحوية؛ فإن المتأمِّل لهذا الكتاب يكاد يجزم باختلافه تمام الاختلاف عن كتبه الأخرى التي طغت فيها نظرية العامل؛ ككتاب "العوامل المائة في النحو"، وكتاب "المقتصد في شرح الإيضاح"؛ فجوهر هذا الكتاب لا يقف عند حدود النحو والصرف، وإنما هو معرفة معاني العبارات ووضعها

مواضعها، ومعرفة فائدتها إذا جاءت في هذا السياق أو ذاك، ومدى ما تستطيع أن تحققه من الدلالات.[13]

ولتوضيح هذا الكلام نضرب مثالا من القرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[البقرة: 16]، حين يتناول النحاة كلمة " تِجَارَتُهُمْ" فإنهم يقتصرون في الغالب على كونها تقع في الإعراب فاعلا مرفوعا بضمة ظاهرة وأنها مضافة إلى الضمير بعدها، لكن النظم الذي يقوم عليه كتاب "دلائل الإعجاز" يتناول المسألة من جهة أخرى؛ فهو سوف يتساءل عن معنى الفاعلية في كلمة "تِجَارَتُهُمْ"، فإذا كان الفاعل في عرف النحاة هو الذي يقوم بالفعل، فكيف تقوم التجارة بالربح؟ فالتجارة معنى وليست شخصا يخسر ويربح، وإنما الذي يخسر ويربح هو صاحب التجارة، من هنا يلج الجرجاني من دائرة النحو إلى دائرة النظم الذي هو" توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يُساق لها الكلام"، فلا يمكن أن نتصور النظم إلا من خلال علاقات متشابكة بين أجزاء الكلام دون إهمالٍ لسياق الحال، وعلى هذا يكون إعطاء "التجارة" معنى الفاعلية، وتعليق الربح والخسارة بها تعبيرا عن المعنى الدلالي الذي حصل بواسطة استغلال المعاني النحوية.[14]

كما أن الإعراب يقتصر في جعل الضمير المضاف إلى التجارة واقعا في محل جر بالإضافة، أما النظم الذي يقوم عليه علم المعاني فإنه يتساءل عن الفرق بين قوله:" فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ" وبين أن يقول: " فَمَا رَبِحَتْ التِجَارَة"؛ فإن الإضافة باعتبارها معنى نحوي قد أُستغلت في التعبير عن معنى نفسي؛ فحملُ التجارة على معنى الفاعلية جعل أثر الربح والخسارة ينعكس على صاحبها، فالتعبير بقوله: "فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ" يعكس أثر الخيبة التي تقع على نفوس المنافقين أكثر مما يعكسها التعبير الآخر: "فَمَا رَبِحَتْ التِجَارَة"،[15] فيُلاحَظ هنا أن المعاني النفسية استدعت المعاني النحوية وطابقتها؛ وهذا هو

سر نظرية النظم التي يقوم عليها كتاب "دلائل الإعجاز"؛ ذلك الكتاب الذي عالج في جل أبوابه مسائل علم المعاني، وهو بالفعل يمثل نقطة الانتقال في النحو العربي من مرحلة التحليل إلى مرحلة التركيب.

5- مساهمة نظرية النظم فيما توصل إليه الفكر اللغوي الحديث:

بعد أن ذكرنا بعض العيوب والنقائص التي لاحظها الباحثون حول نظرية النظم، نرى أنه من الإنصاف أن نذكر الإسهامات الجليلة لهذه النظرية على مستوى الدرس اللساني الحديث؛ فمن المعلوم أن نظرية "الرمزية في اللغة" للعالم اللغوي الألماني" فنت" تُعد من أعظم ما توصل إليه علم اللسان الحديث، والحقيقة أن البذور الأولى لهذه النظرية قد بذرها عبد القاهر الجرجاني في حقل نظرية النظم في حدود القرن الخامس الهجري، فما كان أن أنبتت هذه البذور واكتمل نموها إلا عند الغربيين في العصر الحديث؛[16] ذلك ما نلمسه في قول الجرجاني: « اعلم أن هاهنا أصْلاً أنتَ ترى الناسَ فيه في صورةِ مَنْ يَعرِفُ مِن جانبٍ ويُنْكِر مِن آخَر؛ وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينهما من فوائد، وهذا علِمٌ شريفٌ، وأَصْلٌ عظيم. والدليلُ على ذلك؛ أننا إنْ زعمنا أنَّ الألفاظَ التي هي أوضاعُ اللغة إنما وُضِعتْ ليُعرَفَ بها معانيها في أَنفُسها، لأَدَّى ذلك إلى ما لا يَشُكَّ عاقِلٌ في استحالته»؛[17] فاللغة عند الجرجاني ليست مجوعة من الألفاظ، بل هي مجموعة من العلاقات؛ فالألفاظ في ارتباطها تكوّن داخل النظم اللغوي مجموعة من الصور تنقل إلينا الشعور أو الفكرة. فالناظم يستعمل ألفاظ اللغة لتحريك الصورة الذهنية الكامنة؛ فلا يمكن - مثلا - أن يثير اللفظ صورة "طفل" ما لم يكن في الذهن صورة للطفل، إذا كان اللفظ في هذا المجال رمزا ومحركا للصورة.[18]

يقول حازم القرطاجني(ت684ه): « وإذا عرفنا كيفية التصرف في المعاني التي لها وجود خارج الذهن والتي جُعلت بالفرض بمنزلة ما له وجود خارج الذهن، فيجب أن يُشار إلى المعاني التي ليس لها وجود خارج الذهن أصلا، وإنما هي أمور ذهنية محصولها صور تقع في الكلام بتنوع طرق التأليف في المعاني والألفاظ الدالة عليها».[19]

ويقول عبد القاهر الجرجاني: « إنك تطلب المعنى، وإذا ظفرت به فاللفظ معك وإزاء ناظرك»،[20] ليربط الصلة بين اللفظ والمعنى وبين الفكر واللغة برباط وثيق؛ فهذه الصلة الوثيقة بين الفكر واللغة هي ما يؤكده علم النفس اللغوي الحديث في نظرية الترابط العضوي.

وقد توصل الباحث الألماني "فنت" في النظرية الرمزية اللغوية إلى أن اللفظ يكتسي أهمية بانضمامه إلى لفظ آخر، وبما يتولد بينهما من صلة معنوية؛ كأن يكون الثاني خبرا عن الأول أو فاعلا له أو ما يشابه كل ذلك، فاللفظ والمعنى لا يمكن فصلهما عن بعض؛ فهما وجهان لعملة واحدة. وهذا ما عبر عنه الجرجاني حينما رأى أن ارتباط الألفاظ الدقيق داخل النظم يُبرز دورَه الهام في نقل وتحريك الصور بألوانها، وأصواتها، وحركاتها، وإيصالها إلى الذهن جلية واضحة لا غموض فيها. فالجرجاني ينظر إلى النص اللغوي على أنه وحدة فنية متكاملة، ترتبط فيها المضامين والأشكال والأجزاء بأربطة وثيقة تعبر عن الوحدة والالتحام.[21]

وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يفسر نظرية النظم في كتابه "دلائل الإعجاز" تفسيرا لم يُغفل فيه المعاني الثانوية أو الإضافية، وما يُعرف ب"معنى المعنى"؛ وهي معان تُلتمس في ترتيب الكلام حسب مضامينه في النفس، وحسب دلالاته. وهذه المعاني ترجع إلى الإسناد بأحوال طرفيه، ومتعلقات الفعل، وأحوال الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، وغيرها من أبواب علم المعاني.

لقد جر البحث عن سر الجمال في التركيب القرآني خصوصا، والتركيب اللغوي العربي عموما عبد القاهر الجرجاني إلى أن يدرس الجملة العربية دراسة تفصيلية جامعا في تلك الدراسة بين قواعد النحو وآراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول، ليس هذا فحسب، بل إن نظرية النظم تُعد أجرأ خطوة للانتقال بالنحو العربي من حقل التحليل إلى حقل التركيب، أو من حقل الجملة إلى حقل النص؛ فها هو الجرجاني يضع البذور الأولى مرة أخرى لعلم جديد لم يُكتب له الظهور إلا في العصر الحديث عند الغربيين، ألا وهو "نحو النص" أو "لسانيات النص"؛ ففي أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين توصلت مجموعة من الباحثين الغربيين إلى عدة نتائج تُعد بالفعل استثمارا للأفكار التي طرحها الجرجاني من خلال نظرية النظم؛ فهاهو "درسلر" "Dressler" - مثلا - يشير في صدد حديثه عن بدايات تكون علم لسانيات النص إلى العمل المبكر ل "فايل" "H.Weil" 1887م، حيث علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار وفصل هذا التتابع عن النحو؛ وهذه الفكرة هي حجر الزاوية في فكر الجرجاني، إلا أن الفرق بينهما يتجلى في أن فايل "Weil" يفصل تتابع الأفكار عن النحو، والجرجاني يربط بينهما.[22]

ثم تعددت المحاولات بعد ذلك لتُتوج أخيرا بالظهور الفعلي لهذا الوافد الجديد على الساحة اللسانية العالمية من خلال كتاب "التماسك في الإنجليزية" "Cohesion in english" لمؤلفيه "هاليداي" "Halliday" و"رقية حسن" عام 1976، وكتاب "مدخل إلى لسانيات النص" "Introduction to text linguistic" لكل من "درسلر" "Dressler"، و"دي بوجراند" "Debeaugrande" عام 1981.[23]

خاتمة: خلاصة ما توصلتُ إليه من نتائج في هذا البحث ما يلي:

1- كانت قضية الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم هي الباعث الأول للجرجاني في طرحه لنظرية النظم؛ حيث يرى أن سر الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في تركيبه البديع، وهو ما يسميه "النظم"؛ أي: توخي معاني النحو وأحكامه.

2- إن أهم نقد وُجه لنظرية النظم مفاده؛ أن المتكلم السليقي لا يتوخى في كلامه قواعد اللغة وقوانينها كما تقول النظرية، بل اللغة نفسها هي التي تتوخى هذه القوانين وتنتظم على أساسها؛ فالكلام البليغ أسبق في الوجود من علم النحو وأصوله ورسومه.

3- وقد عُقب على هذا النقد بأن المعاني النفسية تستدعي المعاني النحوية وتطابقها، وهذا هو سر نظرية النظم التي يقوم عليها كتاب "دلائل الإعجاز".

4- ينظر الجرجاني إلى النص اللغوي على أنه وحدة فنية متكاملة، ترتبط فيها المضامين والأشكال والأجزاء بأربطة وثيقة تعبر عن الوحدة والالتحام، وهذا ما توصل إليه اللغوي الألماني "فنت" في العصر الحديث من خلال نظرية "الرمزية في اللغة".

5- توصلت نظرية النظم الجرجانية إلى حقيقة غاية في الأهمية مفادها: أن الكلام المفيد ما هو إلا حصيلة لتضام اللفظ مع غيره من الألفاظ المناسبة له دلاليا، وذلك في إطار العلاقات النحوية الجامعة بينها، وهي بهذا تتقاطع مع ما توصل إليه اللسانيون الغربيون في العصر الحديث؛ بدءا من دي سوسير "De Saussure" وانتهاء بعلماء لسانيات النص أمثال: "درسلر" "Dressler"،و"هاليداي" "Halliday" و"رقية حسن"، و"دي بوجراند" "Debeaugrande".

الهوامش والإحالات:

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط: 3، 1413ه - 1992م، ص: 362.

2 - ينظر: مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 8، 1426ه- 2005م، ص: 1162.

3 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 56.

4 - "ينبو": نبا الشيءُ لم يستو في مَكَانهُ المناسب له، وَيُقَال كلمة "نابية" أي قلقة وغير منسجمة،، ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د، ط- د، ت): 2/ 899.

5 - "اليافوخ": هي فجوة مغطاة بغشاء تكون عِنْد تلاقي عِظَام الجمجمة وهما يأفوخان يأفوخ أَمَامِي ويأفوخ خَلْفي، ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: 1/ 21.

6 - "القروم": جمع "قرم" وهو الفحل من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل، ويقصد به الجرجاني هنا: فحول البلغاء من كتاب وشعراء، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص: 1148.

7 - المصدر نفسه، ص: 39.

8 - امرؤ القيس بن حجر الكندي، الديوان، تح: أنور أبو سويلم، علي الهروط، دار عمار: عمان- الأردن، 1411ه- 1991م، ص: 87.

9 - ينظر: محمد حسن مصطفى، فكرة النظم بين الحقيقة والوهم، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد: 6، العدد: 1، 1427ه- 2007 م، ص: 249، 250.

10 - ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوي، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 1427ه- 2006، ص: 44.

11 - محمد حسن مصطفى، فكرة النظم بين الحقيقة والوهم، ص: 250.

12 - محمد حسن مصطفى، فكرة النظم بين الحقيقة والوهم، ص: 252.

13 - محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ط- د، ت)، ص: 313.

14 - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 427، وينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب: القاهرة، (د، ط- د، ت)، ص: 105.

15 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 105.

16 - ينظر: محمد مندور، الميزان الجديد، القاهرة، ط: 2، 1965، ص: 142 وما بعدها.

17 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 539.

18 - ينظر: وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1402- 1982، ص: 56.

19 - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406- 1986، ص: 15، 16.

20 - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 62.

21 - ينظر: وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية، ص: 171.

22 - ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار: القاهرة، ط: 2، 1424هـ- 2004م، ص: 18. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، جامعة منوبة، تونس، ط: 1، 1424هـ- 2004م، ص: 76.

23 - ينظر: مصطفاوي جلال، تماسك النص وانسجامه (مقاربة في ضوء لسانيات النص)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص اللسانيات التطبيقية، جامعة تلمسان، 1433هـ- 2013م، ص: 234، 235.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- الاستراباذي رضي الدين ، شرح كافية ابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط: 2، 1416هـ- 1996م.

2- الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، 1424هـ- 2003م.

3- الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار: عمان- الأردن، ط: 3، 1405هـ- 1985م.

4- بحيري سعيد حسن ، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار: القاهرة، ط: 2، 1424هـ- 2004م.

5- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط: 3، 1413هـ - 1992م.

6- ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 4، (د، ت).

7- درويش أحمد ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب: القاهرة، (د، ط- د، ت).

8- ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوي، الديوان، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 1427هـ- 2006.

9- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس: بيروت، ط: 3، 1399هـ- 1979م.

10- ابن السراج أبو بكر محمد ، الأصول في النحو، تح: الفتلي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: 3، 1417هـ- 1996م.

11- سيبويه عمرو بن عثمان أبو بشر، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: 3، 1408هـ- 1988م.

12- الشاوش محمد ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، جامعة منوبة، تونس، ط: 1، 1424هـ- 2004م.

13- الشريف الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت، 1403هـ- 1983م، (د، ط).
14- العشماوي محمد زكي ، قضايا النقد الأدبي، دار الكتاب العربي: بيروت، (د، ط- د، ت).
15- ابن فارس أحمد أبو الحسين القزويني الرلزي، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1، 1418هـ- 1998م.
16- الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 8، 1426هـ- 2005م.
17- القرطاجني حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406- 1986.
18- الكندي امرؤ القيس بن حجر ، الديوان، تح: أنور أبو سويلم، علي الهروط، دار عمار: عمان- الأردن، 1411هـ- 1991م.
19- مراد وليد محمد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1402- 1982.
20- مصطفى محمد حسن ، فكرة النظم بين الحقيقة والوهم، مقال منشور بمجلة أبحاث كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد: 6، العدد: 1، 1427هـ- 2007 م.
21- مصطفاوي جلال، تماسك النص وانسجامه (مقاربة في ضوء لسانيات النص)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص اللسانيات التطبيقية، جامعة تلمسان، 1433هـ- 2013م.
22- مندور محمد ، الميزان الجديد، القاهرة، ط: 2، 1965.
23- النابغة الذبياني زياد بن معاوية، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: القاهرة، ط: 2، 1405هـ- 1985م.
24- ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: يوسف محمد البقاعي، دار الفكر: بيروت، (د، ط- د، ت).